الشاعر الشعبي حسن ذيبان اليافعي في حوار مع "الأمناء":

بعد أن غيبت الدولة وجاء نظام العصابات بدأنا ندق المسامير بنعش الشعر

• الدولة غائبة عن هموم كثيرة تخص المواطن

الحوار مع الشاعر الشعبي الجنوبي الكبير حسن ذيبان اليافعي ممتع ومثمر، لأنك تحاور شاعرًا مثقفًا يكتب بالعامية ويعي مفرداتها التي لم تنزلق في مخاض الشوائب والمفردات الدخيلة، كما فعل غيره من الشعراء، فهو شاعر شعبي مبدع ومميز وبارع يمتلك موهبة شعرية فذّة، ارتبط بالشعر وكتبه منذ الصغر، كما أنه من أسرة عشقت وكتبت الشعر، حيث كان والدة شاعرًا حكيمًا ملمًا بالشعر الشعبي، احتك وساجل الشعراء الكبار أمثال أحمد محمد الصنبحي الحمري، وقائد علي القطنة، وعبد الله صالح العلفي، وأبو قيس المشألي اليافعي، وغنى قصائده الكثير من فناني الوطن، منهم الفنان علي بن جابر اليزيدي، وسالم البيحاني، هو الشاعر الشعبي الجنوبي حسن ذيبان اليافعي الذي حمل شموخ جبال يافع ونقاوة وطيبة أهلها وانتقل إلى دول الخليج العربي.

"الأمناء" أجرت حوارًا معه تحدث في ثناياه عن كثير من القضايا على الساحة الفنية والشعرية الجنوبية.. فإلى التفاصيل:

"الأمناء" حاوره/ أبو صخر المضربي:

• من هو الشاعر حسن ذيبان اليافعي؟

– حسن محمد عبدالله ذيبان، مواطن جنوبي بسيط وأب لخمسة أبناء، من مواليد العام ١٩٧٣م، ولدتُ وترعرعتُ وعشتُ طفولتي في قرية آل ذيبان التابعة جغرافيًا لوادي ذي ناخب بيافع ولمكتب الحضارم من الناحية القبلية. أنتمي لأسرة محبة للشعر، كان والدي رحمه الله شاعرًا حكيمًا ملمًا بالشعر الشعبي ومتابعًا شغوفًا لكل ما يصدر من أشعار ومساجلات لكبار الشعراء الشعبيين آنذاك.

بدأ ارتباطي بالشعر مبكرًا، كانت تعجبني الكلمات الموسيقية الموزونة، وكنت أحرص على حضور الأعراس والمحافل التي يكون الشعر فيها حاضرًا فأحاول حفظ ما طاب لي من الأشعار وأرددها بيني وبين نفسي لاحقًا، ففي صباي كان المرحوم شايف محمد الخالدي رحمه الله هو الشاعر الأكبر تأثيرًا والأقرب إلى نفسي وإلى شعراء جيلي بشكل عام، عند العودة بالذكريات إلى الوراء، لا أستطيع وصف سعادتي حينذاك عندما كنت أعلم أن والدي قد اقتنى آخر شريط غنائي للخالدي، ذاك يوم عيدي.. كان رحمه الله يقوم بتشغيله في فترة ما بعد العصر بصوت مسموع، وأحيانًا كنت أحفظ جزءا كبيرا من القصيدة من المرة الأولى فتكون مادة دسمة في اليوم التالي أدندن بها في المدرسة أو في جبال يافع أثناء رعيي للأغنام أو مساعدة أهلي في الأعمال اليومية.

• علمت أنك شاعر كبير.. هل لك قصائد وأغاني وطنية وغزلية ومساجلات غناها لك الفنانون؟ حدثنا عن هذا الأمر بالتفصيل.

– يكفيني لقب شاعر، أما أن أكون شاعرا كبيرا فالجمهور هو من يقرر ذلك. الحقيقة أن الشعر بالنسبة لي هو مجرد هواية أحبها ولا أذكر أني أخذته يومًا على محمل الجد، ربما لو فعلت ذلك لما نلت ما نلته من الشهرة والقبول.

أستطيع التعبير عن نفسي عن طريق الشعر أكثر من اي وسيلة أخرى، لم أهتم بتدوين قصائدي أو تلحينها ولو بدا أن هناك نوع من الاهتمام مؤخراً. معظم القصائد التي كتبتها كانت في السياسة والحب والقضايا الاجتماعية والمساجلات بالإضافة إلى بعض القصائد الفكاهية التي كنت أحاول فيها الهروب من الواقع المر، هذه القصائد كانت أشبه ببصقة في وجه الحزن والهم والأسى.

ساجلت الكثير من الشعراء الشعبيين في الشمال والجنوب منهم أبو قيس المشألي، وعلي الجرادي، وأحمد محمد الصنبحي، وقايد القطنة، وأبو قيس العلفي وغيرهم الكثير. لي مجموعة من القصائد التي تغنى بها كبار الفنانين، أذكر منهم الفنان علي بن جابر، علي حسن اليزيدي، سالم البيحاني، إضافة إلى بعض الشيلات التي ظهرت مؤخراً في الوسط الفني كأسلوب جديد من الغناء على الفن اليافعي بالذات، أذكر منهم الفنان مراد النهمي.

• متى اقتحمت ساحة الشعر وصرت شاعرًا تسمعك وتتداول قصائدك الناس؟

– البدايات كانت مبكرا كما أسلفت، كانت قصائدي الأولى موجهة لبعض اصدقائي الذين اتشارك معهم هذه الموهبة لا سيما في سن المراهقة. بعد اغترابي للمملكة العربية السعودية في اواخر الثمانينات بدأت اساجل والدي رحمه الله حيث كانت مساجلاتنا مليئة بالمعابثة والمزاح. كنت اجد في الشعر نوع من السلوى التي تخفف عني اعباء الغربة والبعد عن الأهل والاصحاب. ومن الاشياء الغريبة التي حدثت اني كنت اتصفح اليوتيوب قبل عدة سنوات فوجدت بالصدفة قصيدة مغناه كنت كتبتها في تلك الفترة من حياتي وتم انتحالها مع تعديلات بسيطة، كان هذا دافع مهم لبداية الاهتمام بالتوثيق والنشر.. والبداية الحقيقية التي اظهرتني كشاعر كانت في بداية الالفية الجديدة عبر الاندية الثقافية والشعرية التي كانت رائجة آنذاك، ابرزها نادي يافع الثقافي والذي كان يضم زمرة من الشعراء والمثقفين اليافعيين وبعدها جاء المجلس اليمني الذي اتاح لي الفرصة للتعرف على كثير من شعراء المناطق الشمالية والذين لا زلت احتفظ وأعتزّ بصداقتهم.

• بمن تأثرت من الشعراء؟

– أتذكر مقولة مشهورة تنسب لأحد الروائيين الروس تقول: "كلنا خرجنا من معطف غوغول" وغوغول هذا كاتب روسي شهير له رواية مشهوره اسمها "المعطف" وقد تأثر بها كل من تبعه من الكتّاب والروائيين الروسيين الكبار. وبالمثل، أعتقد اني وغيري من شعراء جيلي كلنا خرجنا من معطف الخالدي! صحيح أن هناك شعراء كبار كثيرون أثروا في شاعريتي امثال راجح هيثم بن سبعه، محمد سالم الكهالي، يحيى الفردي، بن عسكر، المحبوش ولكن يبقى شايف محمد الخالدي هو الشاعر الابرز والمثل الأعلى.

• هل لديك تواصل مع شعراء كبار أمثال ثابت عوض اليهري؟

– أغلب معرفتي بالشعراء كانت عن طريق الهاتف، ووسائل التواصل الاجتماعي، والأندية الثقافية بسبب ظروف الغربة التي نعيشها معًا، في الفترة الاخيرة التقيت وتعرفت على كثير منهم في أرض الواقع مثل ثابت عوض اليهري، ويحيى الفردي، وأحمد محمد الصنبحي، وقايد علي القطنه وغيرهم ممن لم تسعفنا الذاكرة ذكره.

• كيف تنظر للساحة الشعرية والفنية الوطنية في الوقت الراهن؟

– لا بد من تجديد، أعتقد اننا جميعًا لا زلنا نعيش تحت جلباب الخالدي. كانت البلاد والفن اليافعي بشكل خاص محظوظ جدا بالشاعر الكبير يحيى عمر الجمالي والذي بُعث مجددا للشعر والفن اليافعي وسافر به بعيدا. انتظرنا كثيرا بعد يحيى عمر حتى جاء الخالدي وقام ايضا بحركة بعث واحياء وتجديد حيث كون مدرسة شعرية خاصة في شعر المساجلات. اعتقد اننا الان في مرحلة تحتاج لنوع من التجديد في الأساليب والصور الشعرية، قد نكون انا وجيلي من الشعراء قد هرمنا على هذا النوع من التجديد والتغيير ولكن نضع كل آمالنا على الجيل الجديد ونحملهم هذه المسؤولية وكلنا ثقة بانهم سيكونون اهلا لها.

• بنظرك ما سلبيات الساحة الشعرية والفنية والإبداعية الوطنية؟

– كان الشعر الشعبي قد وصل لسنامه وذروته ومجده على يد عرابه المرحوم شايف محمد الخالدي، بعد وفاته بدأ الانحدار شأنه كأي شيء آخر كما يقول الشاعر: لكل شيء إذا ما تم نقصان!

ترك الخالدي مكانًا شاغرًا لم يتجرأ احد من الاقتراب منه ولو قليلًا، ورغم اني متفائل بطبعي الا اني أعتقد اننا لم نصل الى القاع بعد أن فقد الشعر جزءا كبيرا من رونقه الاخاذ وتأثيره البالغ على الناس وتردت الذائقة الشعرية للعامة لمستويات خطيرة والأسباب في ذلك كثيرة. من ينظر الى الساحة الشعرية الان سيشعر بالأسى عليها حين يتذكر أيام عزها ومجدها وما صارت إليه الآن. لا ابالغ حين أقول ان بعض ممن يجلسون على الطاولة الشعرية الآن هم مهرجون أكثر من ان يكونوا شعراء، ماذا تتوقع حين يستلم الأمر غير أهله، ورغم ان الموضوع قد سال فيه حبر كثير الا انني اعتقد ان من الاسباب التي لم ينتبه لها الكثيرون رغم أهميتها هي العلاقة بين الدولة وحضورها وبين تردي الساحة الشعرية وبزوغ نجمها. حضور الدولة مهم جدًا للشعر والثقافة بشكل عام وغيابها له تأثير مباشر في تردي الشعر والذائقة الشعرية أيضا. قديمًا كانت هناك دولة كاملة الأركان، رغم الأخطاء التي ارتكبتها لكنها كانت حاضرة بقوة في حياة الناس وكذلك كان الشعر الشعبي. كان الشعراء هم الضمير الحي للحكام، ينقلون لهم هموم الشعب وآلامه ولا يخشون لومة لائم، يسعون للتغير بنضال مثير للإعجاب والزهو، تكلموا بلسان الشعب فوجدوا الشعب يردد باسمهم في كل مناسبة ومحفل. بعد ان غيبت الدولة وجاء بعدها نظام العصابات بدأنا ندق المسامير الأولى في نعش الشعر واحداً تلو الاخر حتى وصلنا لما وصلنا اليه الان.

الأسباب كثيرة كما ذكرت، وما يزيد الطين بله انها تراكمت مع الوقت لتكوّن عجينة بائسة هي من شكلت ذائقة الشعب الحالية وأوصلته لحال يدعو الى الرثاء.

• ما الفرق بين الشعر والفن في الأمس واليوم من وجهة نظرك الخاصة؟

– كان الشعر الشعبي بالأمس موجهًا للنخبة والعامة، للأدباء والكتاب والمثقفين واساتذة الجامعات، للفلاح البسيط في حقله، العامل في مشغله، والراعي على غنمه. وكان الشعراء هم ضمير الشعب ولسانه المتكلم وحامل مشعل أحلامه وآلامه. كانت الأغراض الشعرية بالأمس نبيلة تدل على نبل أصحابها وصفاء أرواحهم. كان بيت من الشعر يقضّ مضاجع الطغاة، يغير منصبًا، يقيم حربا ويفتح باب الزنزانة لصاحبه.

عندما كنت استمع لبعض المساجلات التي لقت رواجًا كبيرا في شبابي كتلك التي كانت بين الخالدي واحمد علي طاهر القيفي، كنت أعتقد أن هذان الشاعران لو اجتمعا صدفة على أرض الواقع فلن يفترقا الا واسنان بعضهم في جسد الآخر! لأكتشف بعدها ان القيفي هو مجرد شخصية صورية أبتكرها الخالدي ليوصل رسائل لمن يهمه الأمر دون المخاطرة في دخول السجن الذي كان رفيق حياته ونضاله. أكتشفت أيضا ان العلاقة ما بينه وبين الصنبحي عدوه الشعري اللدود هي علاقة أبوية يسودها الحب والاحترام المتبادل، وكذا الحال مع رفيق دربه ابو قيس العلفي ورغم ما كان يحدث بينهما من أشعار ومناكفات الا ان علاقتهما الشخصية كانت مبنية على الاحترام والتقدير أيضًا. وهذه دلالة بسيطة عن عظمة الخالدي وعلو كعبة وقيمة موروثه الشعري وحجم تأثيره على الناس والذي كان يفوق تأثير وزير الإعلام آنذاك. فيه أيضًا دلالة عن قيمة الشعر الشعبي حينها وأخلاق شعراءه وأغراضه النضالية النبيلة. اما الان فقد تسيّد الساحة من لا يستحق، الأمر الذى دعا بعض الشعراء الكبار الى مغادرة الساحة الشعرية ببساطة واعتزال الشعر الى غير رجعه ولسان حالهم يقول: الغث والسمين لا يجتمعان. بقي الغث وذهب السمين، باختصار شديد.

• مساجلاتكم الشعرية هل توثق بوزارة الثقافة والإعلام؟ وهل هناك دعم رسمي لها؟

– لا أعلم ولم أسمع بمثل هذا، ربما الشعر الشعبي بشكل عام لا يحظى بالاهتمام الرسمي الذي يستحقه، حتى الشعراء الكبار لم تقم اي دائرة حكومية بالاهتمام بجمع أشعارهم ونشرها وانما كانت العملية تتم بمجهودات شخصية وبدعم سخي من رجال الأعمال. الدولة غائبة عن أمور جوهرية تمس حياة المواطن بشكل مباشر والحقيقة اننا لا ننتظر منهم لا دعماً ولا توثيقا.

• ما طموحاتك كشاعر؟ وما جديدك الشعري؟

– طموح الشاعر ببساطة أن يصل، ان ينتهي به الامر لتحقيق ما حارب لأجله، ان تنتصر القضية التي وقف بجانبها وقاتل لأجلها أو أن يموت في سبيل ذلك. انا اتمنى الوصول رغم إني أجد الأمر عسيرًا، بعد عام ٢٠١٥م كنا نقترب من الهدف بخطى واثقة ولكن حالنا الان يشبه رقصة "الفالس"، خطوة للأمام وخطوتين للخلف.

من القصائد الحديثة التي كتبتها مؤخرا هي عبارة عن مساجلة بيني وبين الشاعر الكبير قايد علي القطنة الحجاجي ولولا ان المجال لا يتسع لذكرها هنا لأوردتها، أما بالنسبة للمشاريع الشعرية المستقبلية فمجهولة، أغلب أشعاري تفاعلية بحتة، هي ترجمة ورد فعل لما يدور حولي من أحداث، وطالما احداث المستقبل في علم الغيب، ستظل أشعاري كذلك.

• هل شاركت في مسابقات شعريه داخليه وخارجية؟

– لا، لم يسبق لي ذلك ولم أهتم بهذه المسابقات.

• هل توثق شعرك ولك دواوين شعرية؟

– في الفترة الأخيرة بدأت بتوثيق أشعاري على أمل أن يتم جمعها في كتاب في يوم ما.

• ما الجوائز والألقاب التي حصلت عليها؟

– سبق أن ذكرت ان الشعر بالنسبة لي هواية جميلة، الجأ إليه بأوقات ضيقي فأجد فيه نوع من السلوى، هو عصاي التي اهشّ وأضرب بها، اقف به سدًا منيعًا امام الأفكار المغلوطة والهدامة. اعبر فيه عن رائيي في كل ما يدور حولي، أعشق به المرأة التي أحب، أداعب به صديق واشاغب به آخر. هو ببساطة نابي ومخلبي وأداتي للتغيير، رب بيت من الشعر يغير بقوم ما لم تغيره آلاف الخطب والمحاضرات.

لم أسعَ في حياتي أن انال شيئا بشعري سوى أن اترك أثرًا طيبًا في المتلقي، في نظري نجاحي في ذلك هو جائزتي الكبرى. أعتقد بإني بذلت جهدًا كي تكون كلماتي صادقة ومعبرة عن افكاري ومشاعري. على كل حال، لا يعرفك جيدًا إلا من يقرأ اشعارك ومن يكتفي بقراءة اشعارك لا يعرفك جيدا!

• ما تقييمك للمستوى الشعري للشباب؟

– هناك مواهب شعرية واعدة لا يمكن إهمالها والتي آمل ان يكون لها أثرًا كبيرا على الساحة الشعرية بالمستقبل القريب. انا متفائل جدًا بمستقبل الشعر رغم اني غير راض عن حاضره الآن.

• ما نصيحتك لزملائك الشعراء والفنانين من أجل الارتقاء بالشعر والفن؟

– كنصيحة للشعراء الشباب أقول لهم: كسروا القيود، كونوا أحرارًا قبل ان تكونوا شعارًا، الشاعر الحر لا يقهر، اما بالنسبة لزملائي من الشعراء فلا أعتقد بأنني أملك الأهلية الكاملة لتقديم النصائح. مع تقدم العمر يزداد الشاعر حكمة ويصبح أكثر تحفظًا في شعره ومواقفه، وقد كنا شركاء مسيرة شعرية ممتدة لأكثر من عقدين من الزمان، مسيرة مليئة بالفن والإبداع والنضال، ولأكون منصفًا، والأخطاء أيضًا. ناضلنا بطريقتنا ودافعنا عن قضايانا ومبادئنا بأقلامنا وكلماتنا، الكل حاول التغيير بطريقته. على كل حال، لا أخفيك اني أشعر أحيانًا في بعض لحظات يأسي ان كلماتنا أشبه بالطرق على التابوت، مهما طرقت فلن توقظ من فيه!